صلاة النوم الكبرى في عبادة الصوم الكبير

ستيليانوس ياراسيموس
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

على مدى حياته، يوجّه المسيحي انتباهَه إلى الله ويدخل في شركة معه من خلال الصلاة. ولهذا يؤكد القديس غريغوريوس اللاهوتي: "أَتحِدْ أنفاسك بذكر الله".

الصلاة هي الوسيلة الملموسة التي يشعر بها الإنسان في قلبه بأن قوى الله اللامتناهي تزوره. تبلغ حالة صلاة الإنسان هذه ذروتَها خلال فترة الصوم الكبير. وتساعد الكنيسة في هذا الأمر من خلال خِدَمها العبادية اليومية.

في الصباح نرتل خدمة طويلة جداً تشمل صلوات نصف الليل، والسحر والساعات، كما صلاة غروب اليوم التالي. وهناك أيضاً صلاة النوم الكبرى وقداس القدسات السابق تقديسها والقانون الكبير. يُقام كل صباح أحد قداس القديس باسيليوس الكبير الإلهي، بينما تُقام صلاة الغروب في فترة ما بعد الظهر. وأخيراً، كل يوم جمعة نرنم مديح والدة الإله الكلية القداسة.

بالطبع، لا يمكن تحليل جميع خِدَم العبادة في دراسة واحدة. ولهذا السبب سنقتصر على التعليق على خدمة النوم الكبرى.

لطالما كان الليل دائماً فرصة لعلاقة الإنسان وتواصله مع الله. وذلك لأن الإنسان في ذلك الوقت يصل إلى إمكانية الابتعاد عن الأرض، لكي يهتمّ برحلته نحو السماء. كثيراً ما كان الرب نفسه يصلي في المساء "وبيت في الصلاة لله" (لوقا ٢: ١٢). لذلك، إذ أدركت الكنيسة هذه الحاجة الإنسانية، وضعت بجانب الصلاة الشخصية صلاة مشتركة تسمى أبوديبنوس (باليونانية تعني تضرع). كان يُطلق عليه اسم Apodeipnos، لأنه تم تحديدها بعد تناول وجبة المساء (apo تعني بعد ، deipnos تعني العشاء).

منذ القرن الرابع عشر، نشأت حاجة إلى تقصير صلاة النوم وصارت أمراً ضرورياً، ومع مرور السنين ومع الإضافة المستمرة للصلوات عادت وصارت مدتها طويلة. في النهاية، انتشرت صلاة النوم الصغرى، وهي تُقام خلال معظم أيام السنة. أما الخدمة الأقدم والأكثر شمولاً فقد بقيت سائدة خلال فترة الصوم الكبير وتسمى بصلاة النوم الكبرى. ولأن الصوم الكبير هو أكثر مهابة، فإن هذه الخدمة هي شكر للرب "إذ قد عبرنا النهار وأن يهبنا العشية مع الليلة بغير خطيئة".

تُقام صلاة النوم الكبرى مساء أيام الاثنين والثلاثاء والخميس خلال الصوم الكبير. بعد ظهر الأربعاء يُقام القداس الإلهي للقرابين السابقة تقديسها، أما مساء الجمعة، كما ذكرنا أعلاه، فيُصلّى مديح والدة الإله الكلية القداسة. في مساء يوم السبت، تُقام صلاة النوم الصغرى. في الأديار، تُصلّى صلاة النوم الصغرى في رواق الكنيسة الكبيرة (الكاثوليكون)، بينما تُصلّى صلاة النوم الكبرى في صحن الكنيسة.

بمساعدة المزامير وصلوات النوم الكبرى، يعيد المؤمن النظر في أحداث اليوم الماضي. وهذا النقد الذاتي سيساعده على الانكسار والتوبة عن إخفاقاته الروحية: " بالدموع أبلّ في كل ليلة فراشي" (مزمور ٦: ٦).

خلال صلاة النوم الكبرى نردد ترنيمة كنيستنا القديمة: "معنا هو الله، فاعلموا أيها الأمم وانهزموا، لأن الله معنا"، وهي مأخوذة من تسبحة في الإصحاح التاسع من كتاب إشعياء في العهد القديم. ونرتّل أيضاً التسبحة التالية: "إن طبيعة الشاروبيم غير المتجسدة، تمجدك بتسابيح لا تنقطع". وهذا التسبيح لله الآب، هو تعبير عن ارتفاع الإنسان روحياً إلى الله. بالاعتماد على نعمة الله ورحمته يشعر الإنسان الآن بهذه الترتيلة التمجيدية.

نلاحظ إذن أن إحسان الله الذي لا يوصف يمتد حتى عندما ينام الإنسان. وتؤكد هذه الحقيقة أيضاً الصلاة التالية: "يا رب، يا رب، يا من أنقذتنا من كل سهم يطير في النهار، نجنا من كل أمر يسلك في الظلمة... وأهّلنا أن نجوز مسافة الليل بلا عيب."

وحده الله هو القادر على تقديم المعونة الحقيقية لمخلوقاته في جميع المراحل، وخاصة عندما يكونون في التجارب. لأن الإنسان قد يُمتحن ويحزن ليلاً ونهاراً، فيرتّل: "يا رب القوات كن معنا، لأنه ليس لنا في الأحزان معين سواك. يا رب القوات ارحمنا".

Source: Στυλιανοῦ Γερασίμου. Ἡ λατρεία στὴν μεγάλη τεσσαρακοστὴ "τὸ μέγα ἀπόδειπνο". Παρεμβασης. Προβολές: 2430, 02 Φεβρουαρίου 2015. http://parembasis.gr/index.php/el/menu-teyxos-96/2708-2004-96-19